



التربية الدامجة في المنهاج التعليمي المغربي:
نحو نموذج بيداغوجي ملائم لتنمية المهارات الحياتية
للأطفال ذوي الإعاقة

الدكتور رشيد كريم
باحث في تحليل الخطاب وعلوم التربية
وزارة التربية الوطنية، أكاديمية جهة سوس ماسة
المغرب

ملخص:

يحاول هذا المقال الإجابة عن سؤال مركزي: ما الدور الذي يقوم به المشروع البيداغوجي الفردي في تنمية المهارات الحياتية للأطفال ذوي الإعاقة؟ وينطلق الجواب عن هذا الإشكال من افتراض أساس، مؤداه أنّ المشروع البيداغوجي الفردي أضحى يشكل نواة مركزية في تنزيل الرؤية الفلسفية التي انطوى عليها المنهاج التعليمي المغربي في مجال التربية الدامجة، لأنه يجسد أجراً ميدانية لمبدأ الدمج المدرسي الذي تركز عليه التربية الدامجة. مفاد ذلك أننا سنحاول إبراز كيفية اشتغال المشروع البيداغوجي الفردي في المنهاج التعليمي المغربي لتربية الطفل المعاق على المهارات الحياتية بأصنافها الثلاثة: الاجتماعية والعاطفية والإدراكية، ذلك لأنّ التعلّمات الأساس والتعلّمات الداعمة التي ينطوي عليها هذا المشروع تتيح للطفل المعاق الاندماج الإيجابي في محيطه والتكيف السليم مع ذاته والآخرين في المستقبل.

الكلمات المفتاحية: التربية الدامجة . المهارات الحياتية . المشروع البيداغوجي الفردي . الإعاقة . المنهاج التعليمي المغربي

Abstract:

This article tries to answer a central question: What role does an individual pedagogical project play in the development of life skills for children with disabilities? The answer to this problem is based on the basic assumption that the individual pedagogical project has become a central core in the download of the philosophical vision contained in the Moroccan educational curriculum in the field of inclusive education, because it embodies the boldest field of the principle of school integration on which Inclusive Education is based. This means that we will try to highlight how the individual pedagogical project works in the Moroccan educational curriculum to educate a disabled child on life skills in its three types: social, emotional and cognitive, because the basic and supportive learning involved in this project allows a disabled child to positively integrate into his surroundings and adapt properly to himself and others in the future.

Keywords: inclusive education – life skills – individual pedagogical project – disability – Moroccan educational curriculum.



تقديم:

تشكل التربية الدامجة فلسفة تربوية جديدة تدفع نحو الاندماج الكلي ضمن الفضاء المدرسي والاستفادة من الخدمات التي يقدمها دون إقصاء أو تمييز؛ إنها تربية مبنية على حق الجميع في تربية ذات جودة تستجيب لحاجات التعلم الأساسية لجميع الأطفال واليافعين الموجودين في وضعية هشاشة، بمن فيهم الأطفال في وضعية إعاقة. فمن المثبت علمياً أنَّ الأطفال يتمتعون بقدرات متباينة ويتعلمون بطرق متنوعة وإيقاعات متفاوتة، مما يؤكد القابلية والاستعداد الفطري للتعلم لدى كل طفل بصرف النظر عن وضعيته الخاصة.

لقد أدت هذه الحقيقة العلمية إلى تصحيح بعض الاعتقادات النمطية والتمثلات الخاطئة حول ظاهرة الإعاقة في الفضاء المدرسي؛ إذ لم تعد المقاربة التربوية لهذه الظاهرة محصورة في المنظور الطبي الصرف الذي يعتبر الإعاقة معطى مرضياً ملصقاً بالفرد ونتيجة حتمية لعجزه وقصوره، مما أفضى إلى عزل الفئات الموجودة في وضعية إعاقة ضمن فضاءات تربوية خاصة، بل اتسعت هذه المقاربة لتشمل المنظور الحقوقي الذي ينطلق من مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص، بما هو مبدأ يحتم الدفاع عن حق الجميع في تعليم ذي جودة بشروط وفرص متكافئة.

لقد انخرط المغرب في الدينامية التي خلقها المنظور الحقوقي لظاهرة الإعاقة، ذلك أنه جعل من التربية الدامجة "مشروعاً مجتمعياً يهتم مختلف الفاعلين والمتدخلين، بل وتتفاعل معه أوساط أخرى لها دور في تغيير الاتجاهات والتمثلات الاجتماعية حول الإعاقة، وحول ضرورة احترام حق الشخص في وضعية إعاقة في تعلم ذي جودة يراعي إمكانياته ويعمل على تطويرها." فقد عمل المغرب، منذ توقيع على المواثيق والاتفاقيات الدولية الصادرة في مجال حقوق الأشخاص في وضعية إعاقة، على بلورة سياسات مندمجة من أجل تنزيل هذه الحقوق في شكل برامج سياسية واجتماعية واقتصادية وتربوية.

فعلى المستوى التربوي انصبت الجهود نحو البحث عن نموذج بيداغوجي يأخذ بعين الاعتبار البعد الحقوقي لمشروع التربية الدمجة، والذي يقتضي التعامل مع كل طفل في وضعية إعاقة بأنه حالة خاصة ومتفردة بصرف النظر عن طبيعة قصوراته، فوقع الاختيار في هذا الصدد على ما يسمى "المشروع البيداغوجي الفردي PPI"، بما هو أسلوب بيداغوجي ناجع في مجال التربية والتعليم، أضحي يمثل اللبنة الأساس في تنزيل مشروع التربية الدامجة على أرض الواقع.

وباعتبار أن كل مشروع بيداغوجي أو برنامج دراسي يسعى في نهاية المطاف إلى تنمية كفايات المتعلم وتأهيله للاندماج إيجاباً في المجتمع، فإن ذلك يدفعنا إلى التساؤل عن الدور الذي يقوم به المشروع البيداغوجي الفردي في تنمية المهارات الحياتية لدى الأطفال في وضعية إعاقة. ويستمد هذا التساؤل مشروعيته من الدور الذي تقوم به المهارات الحياتية في تأهيل المتعلم لمواجهة تحديات العصر، وكذا تمكينه من القيام بالأعمال المطلوبة منه على أكمل وجه، فالمهارات الحياتية والذاتية من شأنها أن تمنح المتعلم القدرة على التكيف والمرونة من أجل تحقيق الاندماج في الحياة العامة.

1 . تحديدات مفهومية

1.1 . مفهوم الإعاقة

ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة أن الإعاقة "مصدر للفعل أعاق، وهي ضرر يصيب أحد الأشخاص ينتج عنه اعتلال بأحد الأعضاء أو عجز كلي أو جزئي" (ص.1577). مما يشي بأن الحامل المعجمي للإعاقة يفيد معنى العجز والقصور، سواء كان ذلك بشكل أو جزئي. أما من الناحية الاصطلاحية، فقد تعددت تعريفات الإعاقة واختلفت بحسب المؤسسات الواضعة لها والمرجعيات التي جرى



الاستناد إليها في صياغة كل تعريف، بحيث تراوحت هذه المرجعيات بين المرجعية الفلسفية والعلمية والحقوقية والتربوية. ويرجع الإشكال الاصطلاحي الأسر لمفهوم الإعاقة إلى تعدد أصناف الإعاقة مع وجود فروقات فردية شاسعة بين هذه الأصناف، فهذا التعدد إلى تفاوت وجهات النظر حول طبيعة الإعاقة وخصائصها ومميزاتها وأشكال تأثيرها على الأشخاص في وضعية إعاقة، مما أفضى إلى تعدد تعريفات الإعاقة، بل أفضى ذلك أيضا إلى تعدد التسميات الموضوعة للأشخاص في وضعية إعاقة (المعاقون، ذوو الاحتياجات الخاصة، ذوو القدرات المختلفة، ذوو الهمم...).

ولئن كان مفهوم الإعاقة مفهوما زبئيا تختلف دلالاته الاصطلاحية باختلاف المؤسسات ومرجعياتها، فإن الاستقامة المنهجية تفرض علينا ضبط المفهوم وحصص تحديداته الاصطلاحية قدر المستطاع. ولتحقيق هذا الغرض المنهجي سنقتصر على التعريفات التي تم في وثيقة الإطار المرجعي للتربية الدامجة الصادرة عن وزارة التربية الوطنية بالمغرب:¹

- **التعريف حسب التصنيف الدولي للإعاقة CIH/1980:** تعرف الإعاقة بأنها مرض أو اضطراب يؤدي إلى حدوث قصور في بعض الأعضاء أو وظائفها، مما ينتج عنه عجز في النشاط أو الأنشطة المتعلقة بهذه الأعضاء. ويؤدي ذلك إلى نقص في الدور الفردي تجاه الذات وداخل المجتمع. ويتحدد القصور هنا بوصفه فقداناً أو اختلالاً هيكلياً وظيفياً لعضو أو مجموعة من أعضاء الجسم، مما قد يؤدي إلى عجز جزئي أو كلي عن القدرة على القيام بالنشاط الفردي في حدوده العادية، كعدم القدرة على المشي أو الجري أو النهوض... إلخ. وغالبا ما تنتج عن هذا العجز استعصاء القيام ببعض الأدوار الحياتية والاجتماعية الضرورية كمتابعة الدراسة وممارسة الرياضة والاندماج في سوق الشغل.
- **التعريف حسب التصنيف الدولي للوظائف CIF/2001** يعرف هذا التصنيف الإعاقة باعتبارها ناتجة عن مشاكل صحية (مرض أو اضطراب)، تؤثر على بنية الجسم ووظائفه، وتحد من نشاط الفرد (إنجاز عمل، أو تنفيذ مهمة، أو القيام بسلوك إرادي، أو يرتبط بتعليمية، أو في إطار تفاعلي اجتماعي)، وتقلص أو تنقص من إمكانات مشاركته في محيطه البيئي والاجتماعي.
- **التعريف حسب سيرورة إنتاج الإعاقة: PPH** ويتحدد تعريفها في الأسباب وعوامل الخطر التي ترتبط بإصابة أو تأثير على سلامة وتطور الشخص (حوادث الولادة - الأمراض الوراثية - الإصابات المرضية عند سن مبكرة - الحوادث الطارئة مثل حوادث السير مثلا...)، وينتج عن هذه الأسباب نقص أو تغيير جزئي أو كلي في عضو ما، الأمر الذي قد يتحول إلى قصور جسدي أو حسي أو ذهني، قد ينتج عنه ضعف جزئي أو كلي للقدرة الفردية على القيام بنشاط ما، مثل القصور الجسدي الذي يؤدي إلى صعوبة القيام بالحركات، أو القصور البصري الذي يؤدي إلى صعوبة النظر، أو القصور السمعي الذي يؤدي إلى صعوبة السمع، أو القصور الذهني الذي يؤدي إلى صعوبة إنجاز العمليات الذهنية وصعوبة التفكير المنطقي... إلخ.
- **التعريف حسب منظمة الأمم المتحدة: 2006/ONU:** الإعاقة هي قصور ناتج عن اختلال أو فقدان أو غياب أو اضطراب في الأعضاء الفيزيولوجية أو النفسية وفي وظائفها، مما ينتج عنه عجز وظيفي (استحالة أو محدودية القيام بنشاط ما)، وقد تضيف المعوقات الاجتماعية كالقوانين والعوائق المادية في المحيط كانهدام الوسائل والتكنولوجيات...، وعدم تكيف محيط التفاعل مع خصائص وحاجيات الإعاقة، وحواجز أخرى تحد من إمكانية مشاركة الفرد في المجتمع، كما تنص على ذلك المادة الأولى من اتفاقيات حقوق الأشخاص ذوي إعاقة.

2.1 مفهوم التربية الدامجة

تعد التربية الدامجة فلسفة تربوية جديدة تدفع نحو الاندماج الكلي ضمن الفضاء المدرسي والاستفادة من الخدمات التي يقدمها دون إقصاء أو تمييز؛ إنها تربية مبنية على حق الجميع في تربية ذات جودة تستجيب لحاجات التعلم الأساسية لجميع الأطفال واليا فعين



الموجودين في وضعية هشاشة، بمن فيهم الأطفال في وضعية إعاقة. فمن المثبت علمياً أن الأطفال يتمتعون بقدرات متباينة ويتعلمون بطرق متنوعة وإيقاعات متفاوتة، مما يؤكد القابلية والاستعداد الفطري للتعلم لدى كل طفل بصرف النظر عن وضعيته الخاصة.

وقد عرفت منظمة اليونسكو التربية الدامجة بأنها "تربية تقوم على حق الجميع في تربية جيدة تلبى الحاجات التعليمية الأساسية، وتضمن وجود المتعلمين. وبما أنها تربية تركز على الفئات الهشة، فهي تسعى إلى أن تطوير إمكانات الفرد بشكل كامل. وبذلك، يكون الهدف النهائي للتربية الدامجة المشمولة بالجودة هو الحد من جميع مظاهر التمييز وتقوية التماسك الاجتماعي"². وتعرفها منظمة إعاقة دولية بأنها "نظام تربوي يأخذ بعين الاعتبار في مجال التعليم والتعلم الاحتياجات الخاصة لكل الأطفال واليا فبين الموجودين في وضعية تهميش وهشاشة، بمن فيهم الأطفال في وضعية إعاقة. إنها تستهدف إزاحة التهميش عن الجميع وتحسين شروط التربية للجميع"³.

إن التربية الدامجة وفقاً لما أوردناه تهدف إلى خلق الإدماج الكلي في الفضاء المدرسي والاتجاه التربوي السائد دون إقصاء أو تهميش للفئات الهشة، بمن فيها الأطفال في وضعية إعاقة، أي بصرف النظر عن الحالة البدنية والوجدانية والعقلية والاجتماعية للطفل؛ مما يعني أن المدرسة ملزمة بتهيئة فضاءها التربوي لاندماج الأطفال المعاقين وأطفال الشوارع وأبناء المهاجرين والأطفال العاملين وأبناء الرحل والأطفال المنتمين إلى المناطق النائية والأقليات اللغوية أو الإثنية أو الثقافية وغيرهم من الأطفال الموجودين في وضعية خاصة، وذلك بنفس الشروط والظروف ومعايير الجودة التي يستفيد منها الأطفال في وضعية عادية.

فالتربية الدامجة هي جعل المدرسة والنظام التربوي ككل مستجيباً للحاجات الفردية لجميع المتعلمين والمتعلمات، سواء كانوا معاقين أو غير ذلك، بحيث يجري تكييف النظام التربوي مع الحالة الخاصة للطفل لا العكس. وبذلك، تختلف المدرسة الدامجة كلية عما كان سائداً في المقاربة الإدماجية القائمة على توفير فضاءات تعليمية خاصة بالأطفال في وضعية إعاقة؛ فإذا كانت المقاربة الإدماجية "تطالب الطفل في وضعية الإعاقة بأن يتكيف مع برامج المدرسة، أو بالأصح أن يتهيأ لكي يتكيف معها، فإن المدرسة الدامجة تستند إلى مبدأ مخالف يتجلى في كونها هي من يتكيف مع إمكانيات وحاجات الطفل، فتغير من مخططاتها التربوية الموجهة لفائدته بما يراعي تلك الإمكانيات"⁴.

لقد تبلور مشروع التربية الدامجة من خلال سيرورة من المشاريع والمقاربات المتلاحقة التي اهتمت بضبط العلاقة بين المدرسة والأطفال في وضعية إعاقة؛ بحيث جرى الانتقال من "التربية العادية التي لم تكن تعير اهتماماً ملحوظاً للأطفال الموجودين في وضعية إعاقة، إلى التربية الخاصة التي أفردت رعاية خاصة لهؤلاء الأطفال في فضاء خاص بهم، إلى التربية الإدماجية التي منحتهم مكاناً داخل المدرسة العادية، لكن مع إرغامهم على التكيف مع نظامها بما هو عليه على مستوى البرامج والطرق وإجراءات التقويم، إلى التربية الدامجة التي حاولت تجاوز نقائص التربية الإدماجية وخلق تصور جديد للتعاطي مع الأطفال في وضعية إعاقة داخل فصل دراسي عادي"⁵.

إن سيرورة التحولات التي شهدتها المنظومة التربوية في علاقتها بالأطفال في وضعية إعاقة جاءت نتيجة لتصحيح بعض الاعتقادات النمطية والتمثلات الخاطئة حول ظاهرة الإعاقة في الفضاء المدرسي؛ إذ لم تعد المقاربة التربوية لهذه الظاهرة محصورة في المنظور الطبي الصرف الذي يعتبر الإعاقة معطى مرضياً ملصقاً بالفرد ونتيجة حتمية لعجزه وقصوره، مما أفضى إلى عزل الفئات الموجودة في وضعية إعاقة ضمن فضاءات تربوية خاصة، بل اتسعت هذه المقاربة لتشمل المنظور الحقوقي الذي ينطلق من مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص، بما هو مبدأ يحتم الدفاع عن حق الجميع في تعليم ذي جودة بشروط وفرص متكافئة. وقد صار هذا الحق مطلباً كونياً تنص عليه كثير من المواثيق والاتفاقيات والإعلانات الدولية، من ضمنها اتفاقية حقوق الطفل 1989، واتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة 2006، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، والإعلان العالمي لتوفير التعليم للجميع 1990، وغيرها. ومن مقتضيات هذا الحق أن تتحول الفضاءات التربوية إلى بيئات دامجة تشمل جميع الأشخاص على اختلاف أعمارهم وقدراتهم وميولاتهم وانتماءاتهم، أي أن



يستفيدوا من تعليم ذي جودة، يلائم وضعياتهم ويوفر لهم الاندماج الكلي في الفصول الدراسية بشكل مريح دون إقصاء أو تمييز. من هنا، أصبح مشروع التربية الدامجة رهانا للأنظمة التربوية العصرية التي تحتكم إلى المقتضيات الحقوقية المنصوص عليها في المواثيق الدولية، ومن ضمنها النظام التعليمي المغربي الذي صار يعتبر التربية الدامجة ركيزة أساسية من ركائز المنهاج التربوي.

3.1. مفهوم المهارات الحياتية

يشير مفهوم المهارات الحياتية إلى مجموعة من القدرات التي تخول للفرد القيام بسلوكات إيجابية تعكس التعامل الناجح والفعال مع مختلف المواقف الحياتية التي تواجهه. والمهارات بشكل عام ليست معطى طبيعيا جاهزا، بل إنها حصيلة سيرورة تربوية، "إنها شيء يمكن تعلمه أو اكتسابه أو تكوينه لدى المتعلم عن طريق المحاكاة والتدريب"⁶، بمعنى أنها تنمو وتتطور في سياق التنشئة الاجتماعية التي تضطلع بها الأسرة والإعلام والمدرسة وغيرها. وبذلك، فمفهوم المهارات الحياتية يقتضي أن يكون هناك تكامل بين المدرسة والحياة من خلال ربط المضامين والبرامج التعليمية باحتياجات المجتمع ومستجداته المختلفة؛ فالمدرسة لم تعد فضاء لتلقين المعارف فحسب، بل أصبحت تضطلع بوظائف إستراتيجية من خلال تأهيل المتعلم لأداء أدوار إيجابية في المجتمع، بشكل قوامه الاعتماد على النفس، واتخاذ القرارات المناسبة، والقدرة على حل المشاكل، والتفكير السليم، والثقة في النفس، وتحمل المسؤوليات الشخصية والاجتماعية، وغيرها من السلوكات التي تعكس التكيف الإيجابي للفرد مع ذاته ومحيطه الاجتماعي.

إن المفهوم الذي سقناه للمهارات الحياتية يجد صداه في مجموعة من التعريفات التي حاولت ضبط المفهوم من الناحية الاصطلاحية؛ فقد عرفها معجم المصطلحات التربوية بأنها المهارات التي تساعد الأطفال على التكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه، والتي تركز على النمو اللغوي والطعام وارتداء الملابس والقدرة على تحمل المسؤولية والتوجيه الذاتي والمهارات المنزلية والأنشطة الاقتصادية والتفاعل الاجتماعي،⁷ وعرفها والتر مير Waltermire بأنها قدرة الأفراد على التعامل بشكل إيجابي مع مشكلات الحياة المتعددة⁸، وهو التعريف نفسه الذي ساقه ليبرمان Lieberman بأن اعتبرها قدرة الفرد على حل المشكلات ومواجهة الصعوبات التي تعترضه، والرغبة في تغيير أسلوب حياة الفرد والمجتمع.⁹

ولئن تعددت التعريفات التي سبقت للمهارات الحياتية، فإن الجامع بينها هو أنها تتجاوز تلك النظرة التربوية التقليدية لتي تؤمن بمركزية المعارف في سيرورة التعلم؛ فالمهارات الحياتية وفقا للمنظور الجديد تنشأ إكساب المتعلم في مرحلة شبابه سلوكيات سليمة في علاقته بذاته ومحيطه، وذلك من خلال الجمع بين المعارف والقدرات والمهارات التي اكتسبها خلال مساره الدراسي والجامعي، وهي سلوكيات يفترض أن تعكس قدراته على إدارة حياته والتعايش مع متطلباتها والتعامل الإيجابي مع مشكلاتها والتكيف المستمر مع تحولاتها والتواصل مع الآخرين بشكل فعال. إن المهارات الحياتية بهذا المعنى ركيزة أساسية في حياة الفرد، لا يمكن الاستغناء عنها في الأدوار التربوية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية، لا سيما الأدوار التي تؤديها أنشطة الحياة المدرسية.

2. التربية الدامجة: مرتكزاتها ومبادئها

1.2. مرتكزات التربية الدامجة

لقد جاء مشروع التربية الدامجة استجابة لحاجات اجتماعية فرضتها العلاقة الحتمية بين المدرسة والمجتمع، ولتطور فكري مرتبط بفلسفة وقيم إنسانية جديدة صارت تفرض قيودها على مجال التربية والتعليم. وجاءت أيضا نتيجة لتراكم معرفي ونظري في الحقل التربوي، أدى إلى بروز تصورات ومقاربات بيداغوجية مبنية على تمثلات جديدة للعملية التعليمية. وهكذا، يمكن حصر المرتكزات التي قامت عليها التربية الدامجة في ما يلي:



- **المرتكزات المؤسسية والقانونية:** فقد أسهمت المنظمات الحقوقية ومؤسسات المجتمع المدني في الدفع نحو تطوير النظام التعليمي من خلال تبني مقاربات تربوية جديدة تعكس التنزيل الأمثل لمبدأ "التربية الجيدة للجميع"، بما هو مبدأ يجد أساسه في مجموعة المواثيق والإعلانات الدولية المتعلقة بتربية الأطفال ذوي الإعاقة، ومن ضمنها اتفاقية حقوق الطفل (1989) واتفاقية حقوق ذوي الإعاقة (2006) والإعلان العالمي بتوفير التعليم للجميع (1990) وإعلان سالامانكا الصادر عن اليونسكو (1994). كما نص ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (1948) ضمن مادته 26 على أن "كل إنسان له الحق في التربية، فبرز الحق في التربية الدامجة ضمن القواعد الإثنى والعشرين لتكافؤ فرص الأشخاص في وضعية إعاقة،
- **المرتكزات الاجتماعية والاقتصادية:** يتعلق المرتكز الاجتماعي بالحاجة الاجتماعية إلى التضامن والتلاحم بين الفئات الاجتماعية المختلفة لتحقيق الأمن والاستقرار. وقد استقر الرأي عند الباحثين في مجال التربية على أن مشروع التربية الدامجة يخدم كثيرا هذا الرهان المجتمعي، وذلك من خلال دورها في تنشئة الأطفال على قبول الاختلاف والتعاون والعيش المشترك؛ فتواجه الأطفال الاحتياجات الخاصة في فصول عادية هو تربية على المواطنة وعلى العيش في المجتمع مع أشخاص مختلفين، لهم الحقوق نفسها، وبذلك، تكون التربية الدامجة قد مهدت الطريق لتحقيق رهان الاندماج الاجتماعي لفائدة الأطفال المعاقين. أما على المستوى الاقتصادي، فقد توصلت بعض الدراسات المعنية بالتربية الدامجة إلى أن هذا المشروع التربوي أقل تكلفة مادية مقارنة بالمقاربات التربوية القائمة على عزل الأطفال المعاقين في مدارس أو فصول خاصة، "حيث إن تعليم جميع الأطفال في أقسام عادية يفيد في تفادي كلفة إحداث أقسام ومدارس ومراكز مختلفة".¹⁰
- **المرتكزات الفلسفية:** تستند فكرة إدماج الطفل المعاق في الفضاء المدرسي العادي دون ميز أو تهميش أو إقصاء إلى مجموعة من القيم ذات الأبعاد الأخلاقية والإنسانية، ومنها حفظ كرامة الإنسان وتقدير إمكانياته وتحقيق المساواة والإنصاف وترسيخ التعاون والتعايش. يستتبع ذلك أن "التربية الدامجة فلسفة مؤمنة بقيمة محاربة الوصم والميز، إذ لا تنظر إلى الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة إلى قصورهم أو إعاقاتهم، بل إلى إمكانياتهم وقدراتهم، وهي فلسفة إيجابية تشجع على التطور، وتحفز بذل الجهد، وتزرع الثقة بالنفس".
- **المرتكزات العلمية والبيداغوجية:** تتحدد هذه المرتكزات في المنظور التربوي الذي يعتبر النجاح في التعلم غير مرتبط بالفرد، بل يرتبط بنوعية وطبيعة الوسيط التربوي؛ فلا وجود لطفل عاجز عن التعلم مهما كانت طبيعته وحالته، فمن منظور علم النفس التربوي لا يمكن الحديث عن شخص عاجز عن التعلم، بل وجب الحديث عن وجود وساطة عاجزة عن إيجاد التقنيات والطرق الملائمة التي تسمح بالتعلم السليم.

2.2. مبادئ التربية الدامجة

تستند التربية الدامجة إلى مجموعة من المبادئ الأساسية نذكر منها:

- **مبدأ المدرسة للجميع:** وهو مبدأ يتجلى في أن المدرسة يجب أن تكفل حق الجميع في التعلم، فالطفل من حقه أن يجد له مكانا في المدرسة، مهما كانت هويته الثقافية والاجتماعية وحالته الصحية. مفاد ذلك أن المدرسة في فلسفة التربية الدامجة يجب أن تأخذ بفكرة التنوع والتعدد وأن تنأى بنفسها عن أي مظهر للميز أو الإقصاء والتهميش. ولعل ذلك ما يقتضي أن تأخذ المدرسة في الاعتبار تنوع احتياجات المتعلمين، وأن تتكيف مع هذه الاحتياجات بالأساليب التعليمية المناسبة والإيقاعات المختلفة.
- **مبدأ الجودة للجميع:** لئن كانت مجمل البرامج والمخططات التربوية تنشئ لتحقيق الجودة، فإن منظور التربية الدامجة ينطلق من فكرة أن المتعلمين يجب أن يستفيدوا من هذه الجودة بنفس الشروط والمواصفات، بصرف النظر عن قدراتهم وأوضاعهم الاجتماعية



والصحية؛ فالتربية الدامجة لا تراهن على حق التعلم للأطفال ذوي الاحتياجات الخاص، ومنهم الأطفال في وضعية إعاقة فحسب، كذلك تشدد على ضرورة استفادة هذه الفئة من تعلمات ذات جودة، تضمن اندماجهم الإيجابي في المجتمع على غرار باقي المتعلمين العاديين.

- مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص: يقع هذا المبدأ في صميم العدالة الاجتماعية التي تقتضي إدماج الأطفال المعاقين في المدارس إسوة بأقرانهم لإنهاء وضعية الإقصاء والتمييز التي عوملوا بها في النظام التربوي التقليدي، وذلك مع الأخذ بالاعتبار "نوعية الإعاقة، مع توفير المستلزمات الكفيلة بضممان إنصافهم وتحقيق شروط تكافؤ فرصهم في النجاح الدراسي إلى جانب أقرانهم".¹¹
- مبدأ تكييف التعليم لا تكييف المتعلم: وهو مبدأ يقتضي أن تكون المدرسة مؤهلة لاستقبال الأطفال المعاقين وأن تتناسب برامجها ومقارباتها ومناهجها التربوية مع الاحتياجات الخاصة للطفل، مما يسمح له بالتطور وفق وتيرته الخاصة في الفهم والتعلم والإنجاز.
- مبدأ المراهنة على الوساطة الاجتماعية: وهو مبدأ يعتبر الوساطة التربوية والاجتماعية مدخلا لتحقيق الاندماج في الوسط المدرسي، سواء تعلق الأمر بالوساطة التربوية التي يقوم بها المدرسون والمربون أو بالوساطة الاجتماعية التي تضطلع بها الأسر والأقران.

3. المشروع البيداغوجي الفردي وتنمية المهارات الحياتية لذوي الاحتياجات الخاصة

1.3. تعريف المشروع البيداغوجي الفردي

لئن كان مشروع التربية الدامجة ينطلق من فرضية مؤداها أن كل طفل في وضعية إعاقة يمثل حالة خاصة ومتفردة، فإن ذلك يحتم اعتماد ممارسة بيداغوجية إيجابية تنظر إلى إمكانيات ذلك الطفل قبل الانتباه إلى قصوراته. وفي هذا السياق يبرز ما يسمى "المشروع البيداغوجي الفردي PPI"، بما هو أسلوب بيداغوجي ناجع في مجال التربية والتعليم، أضحى يمثل اللبنة الأساس في تنزيل مشروع التربية الدامجة على أرض الواقع. وهو يعني بالتحديد ما ينبغي أن يتعلمه الطفل بالنظر إلى وضعيته الخاصة واحتياجاته الأساسية.

يعتبر المشروع البيداغوجي الفردي النواة الأساس في مسلسل التربية الدامجة، فهو الدعامة الجوهرية التي يستند إليها المدرس في تدخله لتطوير قدرات المتعلم وتنمية كفاياته ومهاراته، وذلك وفقا لخصوصياته الشخصية الفارقة واحتياجاته الخاصة. لهذا، ينطلق المشروع البيداغوجي الفردي من تشخيص وضعية الطفل وتحديد انتظاراته الشخصية والأسرية، ومنه ينطلق المدرس في بناء تخطيطاته للدرس وتحديد طرائق اشتغاله. وعليه، فإن المدرس المشتغل داخل القسم الدامج مطالب بأن يكون لديه فهم جيد للمشروع البيداغوجي الفردي وأهميته، وأن يكون على دراية بمنهجية بلورته وطريقة تدبيره، بل أكثر من ذلك، أن يضع سيناريوهات لتدبير أكثر من مشروع بيداغوجي فردي في فصل واحد تجمع بين متعلميه أهداف تربوية مشتركة، لا سيما وأن القسم الدامج يفترض وجود متعلمين متفاوتين في قدراتهم وميولاتهم وأوضاعهم الصحية، مما يعني وجود إيقاعات تعلمية متفاوتة، تستلزم تقييئ المتعلمين وتفريدهم بمشاريع بيداغوجية فردية مختلفة كما هو واضح في الرسم التمثيلي التالي:¹²



مشروع القسم الدامج (تمثيلية مشاريع المجموعات)

مشروع المجموعة 4 لمتعلمين ذوي احتياجات متقاربة		مشروع المجموعة 3 لمتعلمين ذوي احتياجات متقاربة		مشروع المجموعة 2 لمتعلمين ذوي احتياجات متقاربة		مشروع المجموعة 1 لمتعلمين ذوي احتياجات متقاربة	
المشروع البيداغوجي الفردى 20	المشروع البيداغوجي الفردى 19	المشروع البيداغوجي الفردى 14	المشروع البيداغوجي الفردى 13	المشروع البيداغوجي الفردى 8	المشروع البيداغوجي الفردى 7	المشروع البيداغوجي الفردى 2	المشروع البيداغوجي الفردى 1
المشروع البيداغوجي الفردى 22	المشروع البيداغوجي الفردى 21	المشروع البيداغوجي الفردى 16	المشروع البيداغوجي الفردى 15	المشروع البيداغوجي الفردى 10	المشروع البيداغوجي الفردى 9	المشروع البيداغوجي الفردى 4	المشروع البيداغوجي الفردى 3
المشروع البيداغوجي الفردى 24	المشروع البيداغوجي الفردى 23	المشروع البيداغوجي الفردى 18	المشروع البيداغوجي الفردى 17	المشروع البيداغوجي الفردى 12	المشروع البيداغوجي الفردى 11	المشروع البيداغوجي الفردى 6	المشروع البيداغوجي الفردى 5

وبالنسبة إلى الأطفال في وضعية إعاقة، يتشكل المشروع البيداغوجي الفردي، كما تم إقرار محتوياته في الإطار المرجعي للهندسة المنهجية للأطفال في وضعية إعاقة الذي أصدرته وزارة التربية الوطنية بالمغرب، من نوعين من التعلّمات¹³:

- **التعلّمات الأساس:** تتم بالقسم الدراسي العادي، وترتبط بما ينبغي أن يكتسبه المتعلم في مختلف المجالات التعليمية المقررة؛
- **التعلّمات الداعمة:** يتلقاها المتعلم بقاعة الموارد للتأهيل والدعم؛ وترتبط بما ينبغي تطويره لدى المتعلم من مهارات حسية حركية، وترويض على النطق، وتدريب على التوقع، وإدراك وضعيات الجسد، وغير ذلك من المهارات والقدرات التي تيسر له مساهمة التعلّمات الأساس.

وعليه، فإن المشروع البيداغوجي الفردي من منظور التربية الدامجة يعد أداة لمساعدة المدرس على تفريد مقارباته وطرائقه المستعملة، بهدف تنمية مهارات وقدرات كل متعلم في وضعية إعاقة. ولعل ذلك ما يستوجب الاشتغال وفق إيقاعه ووتيرة تعلمه، كي يتمكن من تحقيق الدمج المدرسي، ومن ثم الانتقال عبر المستويات الدراسية. مما يستلزم اعتماد طرائق بيداغوجية تأخذ بعين الاعتبار أهداف المشروع البيداغوجي الفردي وتكفل تدير التفاوت الحاصل في الإيقاعات التعليمية (البيداغوجيا الفارقة، بيداغوجيا المشروع، اللعب...).

2.3. مبادئ المشروع البيداغوجي الفردي وأهميته

يستند المشروع البيداغوجي الفردي من حيث بناؤه وأجرأته إلى مجموعة من المبادئ يمكن حصرها في الآتي:

- أن يكون في خدمة تقدم المتعلم في تعلّماته المدرسية؛
- أن يكون قادرا على خلق الاستشارة والدينامية لدى كل من المتعلم والأسرة والمدرسين؛
- أن يركز على فكرة أن الجميع قادر على استعادة الرغبة في التعلّم والتقدم فيه؛
- أن يستند على الكفايات والمكتسبات لتوسيعها وتعزيزها، مع البناء التدريجي للممرات مع الحياة اليومية؛



- أن يكون عامل إنصاف: فهو يساعد على عدم نسيان أي متعلم، خاصة أولئك الذين يتم المرور عليهم بكيفية عابرة، أو الموجودون في مستويات دراسية دنيا.
- وتكمن أهمية المشروع البيداغوجي الفردي في المزايا التالية:
- أنه يمكن المدرس من مراعاة الفروق الفردية والميول الخاصة لكل متعلم.
- أنه يتيح للمدرس معرفة مشكلات المتعلمين النفسية والاجتماعية، مما يخول له إرشادهم وتوجيههم لحل المشكلات.
- أنه يتلاءم مع اختلاف إيقاعات التعلم، إذ بفضلها يستطيع كل متعلم أن يتعلم حسب قدرته وسرعته دون أن يتقيد بفترة زمنية محددة.
- أنه يساعد المتعلم في التغلب على الكثير من المشكلات الناجمة عن سوء التكيف سواء من الناحية التعليمية أو الانفعالية أو أنه يجنب المتعلم الشعور بالإحباط والفشل، لإحساسه بعدم وجود فرق بينه وبين أقرانه.
- بفضلها يستطيع الطفل التعلم، ويستطيع المدرس إيجاد الطريقة والأسلوب الملائم لبلوغ الأهداف المسطرة.
- إنه يساعد المتعلم على اكتساب المهارات الحياتية مثل الاعتماد على النفس والتنظيم وحست تدبير الوقت واتخاذ القرارات المناسبة وتحمل المسؤولية وغيرها.

3.3. أجراء المشروع البيداغوجي الفردي في بناء التعلّات وتقويمها

- يشكل المشروع البيداغوجي الفردي إطارا تعاقديا موجهها لعمل مجموع أعضاء فريق العمل في مجال المؤسسة الدامجة. فهو من بين أهم الوسائل التي يمكن أن يعتمدها الفريق التربوي والطبي وشبه الطبي في تتبع إنجازات المتعلم في وضعية إعاقة ودرجة تطور أدائه التعليمي. وهو أيضا موجه للعلاقة بين المدرس والمتعلم داخل الفصل الدراسي وخارجه؛ فهو أساس العلاقة بينهما من بداية السنة الدراسية إلى نهايتها؛ وهو المعيار المعتمد في الكشف عن مدى تقدم المتعلم في تعلمه. وبما أن قياس مدى تقدم المتعلم في اكتساب المهارات المستهدفة من الأنشطة يستوجب تبعا دقيقا لدرجة إنجازه لمشروعه البيداغوجي الفردي، فإن ذلك من مقتضيات ذلك أن يتبع المدرس إنجاز هذا المشروع من بدايته إلى نهايته، وذلك مرورا بأربع خطوات إجرائية أساسية هي: التشخيص، والتخطيط، والتدبير، والتقويم.
- **التشخيص:** ينطلق المشروع البيداغوجي الفردي من عملية التشخيص الطبي وشبه الطبي لطبيعة الإعاقة وأنواع القصور، ومن عملية التشخيص البيداغوجي الذي يرصد ما يمتلكه الطفل من إمكانيات ومعارف ومهارات. ومن خلال هذه العملية التي تستحضر إمكانيات المؤسسة الدامجة أيضا يمكننا توقع أقصى الإمكانيات التي يمكن أن يبلغها المتعلم في نهاية السنة الدراسية.
 - **التخطيط:** نقوم في هذه الخطوة الإجرائية بوضع خطة عمل تقوم على ترجمة الكفايات والأهداف إلى مضامين ملائمة وطرائق وتقنيات متكيفة بحسب طبيعة الإعاقة، ونحرص في هذه الخطوة أيضا على تسخير الوسائل التي تساعد المتعلم في مساندة التعلّات وتطوير قدراته. إضافة إلى ذلك تشمل هذه الخطوة تخطيطا لأصناف التقويم وتقنياته التي يمكن أن تحدد لنا إلى أي حد تحققت الأهداف المسطرة.
 - **التدبير:** تقتضي هذه الخطوة تفريد أساليب التدريس لضمان حيز من الوقت لكل متعلم وفق قدراته الفكرية وإمكاناته المعرفي، غير أن طبيعة العمل في الفصل الذي يضم عددا كبيرا من المتعلمين تجعل تطبيق منهجية العمل التفريدي أمرا صعبا. وهذا ما يحتم



الاستعانة بتقنيات البيداغوجيا الفارقية لتعزيز التواصل الدائم بين المتعلمين داخل مجموعة العمل، وتكثيف التفاعل المباشر فيما بين أعضائها على مستوى الخبرات التعليمية المكتسبة لإغنائها وإثرائها. وانطلاقاً من هذا الإقرار، يمكن اعتماد صيغ تديرية تعتمد على ثلاث مقاربات بيداغوجية، تتيح لنا الجمع بين حاجات الفرد وحاجات الجماعة خلال الحصص الدراسية، وهذه المقاربات هي¹⁴: المقاربة التفريدية التي تستلزم الاشتغال مع كل متعلم على حدة، باعتباره حالة متميزة لا تشبه حالة أخرى داخل الفصل الدراسي، والمقاربة التفريقية التي تستلزم الاشتغال بمجموعات صغيرة متجانسة في الخصائص العامة لأفرادها على مستوى الاحتياجات وأساليب العمل، ومقاربة العمل الجمعي الذي يتوجه فيه الاهتمام إلى مجموع الفصل الدراسي للاشتغال على نفس النشاط.

● **التقويم:** مما لا شك فيه أن تقويم العمل الفردي داخل الجماعة يطرح إشكالات كبيرة نابعا من خصوصية الفرد وطبيعة مشروعه ويزداد الأمر تعقيدا حينما يتعلق بأفراد تختلف طبيعة إعاقاتهم، ورغم أن كل مشروع بيداغوجي فردي يستلزم تقويما خاصا، فإنه ذلك، من الممكن من الناحية المنهجية اعتماد صيغة موحدة لتتبع وتقويم المشاريع البيداغوجية الفردية باعتماد أنماط التقويم المعتادة: التقويم التشخيصي، التقويم التكويني، التقويم الإجمالي.

يقوم المدرس في التقويم التشخيصي بوضع شبكات لقياس نسب التحكم في التعلّمات الأساس والتعلّمات الداعمة، ويقوم في التقويم التكويني بالتدخل لأجل ضبط الصعوبات والتعثّرات الفردية أثناء مزاولة الأنشطة التعليمية وتعديل نوعية النشاط والتعلّمات المرتبطة به قصد تذليل الصعوبات وتقديم أشكال المساعدة البيداغوجية من أجل تمكين المتعلم من بلوغ الهدف المنشود. أما في التقويم الإجمالي فإنه يقوم بضبط مخرجات المشروع عبر تقويم عام للنتائج التي حققها المتعلم على مستوى التعلّمات الأساس والتعلّمات الداعمة، وذلك باقتراح وضعية اختبارية تقيس درجة تمكن المتعلم من الكفايات المتعلقة بالمجال التعليمي كما تم اعتمادها في مشروعه البيداغوجي الفردي.

4. دور المشروع البيداغوجي الفردي في تنمية المهارات الحياتية لذوي الاحتياجات الخاصة

1.4. المهارات العاطفية / الوجدانية

تشكل العاطفة عاملا أساسيا مؤثرا في توجيه السلوك البشري منذ المراحل الأولى للعمر؛ فهي تمثل مهارة حياتية تمكن الفرد من بناء علاقات إيجابية مع محيطه وضبط مواقفه العاطفية وإدارتها والسيطرة عليها، بشكل يعكس قدرته على التعامل الإيجابي مع مختلف المواقف والوضعيّات التي تستثير عواطفه، وقدرته على تقديم الحلول الملائمة والمبتكرة لتجاوزها؛ فامتلاك الفرد للمهارة العاطفية معناه أنه قادر على أن يفرح أو يغضب من الشخص المناسب، وبالقدر المناسب، وفي الوقت المناسب، وللهدف المناسب. وبالتالي، فهي مهارة يمكن قياسها من خلال الملاحظة الحسية المباشرة، بحيث تتجلى في تعامل الشخص مع المواقف العاطفية بالأناة والتروي والحكمة وضبط النفس حرصا على مصلحته ودرا لكل المشاكل التي قد تعود عليه بالضرر. ولهذا السبب بالذات وصف دانيال جولمان المهارة العاطفية بأنها تمثل مظهرها لما يسمى "الذكاء العاطفي".¹⁵

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن المهارات العاطفية تضم "مهارات تعديل المشاعر، وهي التحكم في الغضب والقلق والقدرة على مواجهة الخسارة وسوء المعاملة والصدمات، ومهارات مقاومة الضغط التي تنطوي على التحكم في الوقت والتفكير الإيجابي وتقنيات الاسترخاء، ومهارات تعزيز الثقة في النفس وتقدير الذات والتقييم الذاتي والتعديل الذاتي".¹⁶ وعلى الرغم من أن تنشئة الأطفال المعاقين تنشئة عاطفية سليمة أمر في غاية الصعوبة، بحكم الاضطرابات النفسية المختلفة التي تنتج عن الإصابة بالإعاقة، فإنّ الأنشطة التعليمية التعليمية التي ينطوي عليها المشروع البيداغوجي الفردي من شأنها تذليل هذه الصعوبات في الاتجاه الذي يسمح بتعزيز الذكاء العاطفي وتطويره، ذلك لأنّ تفريد الطفل المعاق بمشروع خاص داخل فصل دراسي يفترض أنه فضاء للعمل الجماعي من شأنه أن يترك انطبعا



بقيمة الذات وتقديرها، وأن يخلق ميولا نحو التفكير الإيجابي، وأن يعزز الثقة في النفس والقدرة على التحكم في العواطف في الوضعيات الصعبة.

2.4. المهارات الاجتماعية

تعرف المهارات الاجتماعية تعريفات عديدة منبثقة من طبيعة هذه المهارات، كونها تختلف باختلاف القيم السائدة في كل مجتمع، إذ ثمة سلوكيات تساعد على الاندماج الاجتماعي في مجتمعات معينة، لكنها مرفوضة في مجتمعات أخرى. مما يجعل مسألة نمذجة المهارات الحياتية في مقولات بعينها أمرا مستحيلا، ولعل ذلك ما أفضى إلى تعدد التعريفات الموضوعية لها. ومن ضمن هذه التعريفات ما أورده جريشام Gresham بأن اعتبرها "مجموعة من القدرات التي تطوّر علاقات اجتماعية إيجابية، وتساهم في قبول الزملاء وتطوير الصداقات، وتقود إلى تكيف نفسي مرضي، وتسمح للطلبة بالتكيف وتبني متطلبات البيئة الاجتماعية".¹⁷ معنى ذلك أن الاجتماعية تتحدد في مجموعة من السلوكيات التي تعكس التفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي، كأن يبادر الفرد إلى المشاركة في الأنشطة الاجتماعية، ويقدم المساعدة والنصائح للآخرين، ويطلب العون عند الحاجة، ويحرص على مبدأ التأدب واعتبار التهذيب في المعاملة. ويجد هذا التحديد صدها في التعريف الذي ساقه مانو باليجار Baligar بأن اعتبرها "سلوكيات شخصية تساعد الفرد في المجتمع، وتحافظ على التفاعلات الاجتماعية مع الآخرين، فهي تمثل اللبنات الأساسية لإقامة علاقات شخصية والمشاركة الفعالة والاندماج مع الأقران وغيرهم".¹⁸

ولما كانت المهارات الاجتماعية تختلف باختلاف الأنساق الاجتماعية والقيم السائدة فيها، أي باختلاف إدراك الفرد لكل سلوك وتمثله الاجتماعي له، فإن ذلك جعل التعريفات المخصصة للمهارات الحياتية تتراوح بين الطابع السلوكي والطابع المعرفي.¹⁹ لكن بعض الباحثين، ومنهم مكفال (1982) وفيرنهام (1983) Furnham ورونالدريجيو (1990)، دعوا إلى ضرورة التكامل بين المظهر المعرفي والمظهر السلوكي في تعريف المهارات الاجتماعية، لأن العمليات المعرفية الإدراكية متضمنة في السلوك الاجتماعي. لهذا، تعرف المهارات الاجتماعية أيضا بأنها "السلوكيات الكلية المعرفية التي يستخدمها الفرد في تفاعلاته مع الآخرين، والتي تتراوح بين السلوكيات غير اللفظية والسلوكيات اللفظية المعقدة".²⁰

وتضم المهارات الاجتماعية مهارات العلاقات بين الأشخاص والمهارات التواصلية، وتندرج ضمنها، حسب بياتريس لومبوي Béatrice Lamboy، المهارات الفرعية التالية:²¹ مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي (الإنصات الفعال، التعبير عن المشاعر، القدرة على العطاء، خذ صدق المعلومات...)، ومهارة المقاومة والتفاوض (إدارة الخلافات، إثبات الذات، القدرة على مقاومة ضغوط الآخرين)، ومهارة التعاطف (القدرة على فهم حاجات الغير ووجهة نظره)، ومهارة التعاون (العمل ضمن فريق)، ومهارة كسب التأييد (الإقناع والتأثير).

يعد المشروع البيداغوجي الفردي واحدا من الآليات البيداغوجية التي يمكن التعويل عليها لتربية الطفل المعاق على المهارات الاجتماعية، ذلك لأن الاستقرار العاطفي الذي يتحقق بفضل الثقة في النفس والإحساس بتقدير الذات يمكن أن يكون قاعدة للتفاعل الاجتماعي الإيجابي، سواء من خلال التواصل اللفظي وغير اللفظي مع الآخرين، أو من خلال القدرة على التفاوض ومواجهة المشكلات ومقاومة الضغوط، أو من خلال القدرة على فهم الآخرين والتعامل العاطفي معهم بحسب ما يقتضيه الموقف التواصلية، أو من خلال تقبل فكرة التعاون مع الآخرين في إطار فريق عمل، أو من خلال التشبع بآليات الإقناع والتأثير في الحالات التي تقتضي الدفاع عن أو الاعتراض عليه.

يستتبع ذلك أن المشروع البيداغوجي الفردي يكتسي أهمية في الحد من مظاهر العزلة الاجتماعية التي يكون الأطفال المعاقون عرضة لها في الغالب، بسبب الآثار النفسية التي تنجم عن الإعاقة. فبفضل هذا المشروع يكتسب الطفل المعاق رغبة في التفاعل والتواصل مع



الآخرين بشكل إيجابي، تتفاعل فيه الجوانب السلوكية اللفظية وغير اللفظية والجوانب العقلية والعاطفية. وبذلك نكون إزاء مهارة اجتماعية قوامها "الصدق الاجتماعي"²² المتمثل في تقبل القرين وتقبل الإخوة وتقبل الأب وتقبل المعلم. فيما أن المشروع البيداغوجي الفردي أداة للتفريد والتمركز حول المتعلم من طرف مجموعة من المتدخلين (أطباء، مدرسون، أقران، مختصون تربويون، مختصون اجتماعيون، آباء،...)، فإنه بذلك يشكل أداة فعالة لتربية الطفل على تبني نظرة إيجابية للمجتمع وتقبل الآخرين والتفاعل معهم.

ولئن كان القلق واحدا من الأسباب التي تحول دون اكتساب الطفل المعاق للمهارات الاجتماعية، فإن الشعور الإيجابي الناتج عن الالتفاف الجماعي حوله، والذي يفرضه المشروع البيداغوجي الفردي، من شأنه يضع حدا للأسباب المنتجة للقلق، وفي مقدمتها بالدونية بسبب الإعاقة. وبما أن القلق الدائم يشكل سببا مباشرا في العزلة والانطوائية، فإن ذلك نعه دليلا كافيا على أن المشروع البيداغوجي الفردي آلية لتحفيز الطفل المعاق على الخروج من العزلة الاجتماعية والنزوع نحو تقبل الآخرين والتفاعل معهم بشكل إيجابي.

3.4. المهارات الإدراكية أو العقلية

يتضح من التسمية الاصطلاحية للمهارات الإدراكية أنها تهتم الجانب العقلي الإدراكي للفرد؛ فهي تشير إلى قدرة العقل البشري على التفاعل السريع مع المعلومات والأفكار والحقائق والمفاهيم والمبادئ وغيرها من الأشياء التي تكتسي طابعا مجردا. لهذا، عرفها بعض الباحثين بأنها "وسيلة تجعل الفرد نشيطا وفاعلا خلال اكتساب المعلومات والحقائق والمفاهيم والقيم والمبادئ". إنها مهارات تمكن الفرد من القيام بالأنشطة العقلية المرتبطة بشكل وثيق بالفهم السريع للمجردات والقدرة على حل المشكلات المعقدة.

ولما كانت المهارات الإدراكية مرتبطة بالقدرات العقلية للفرد (الذاكرة، الإدراك، الذكاء، الحدس، التمثل، التعلم،...)، بحيث يكون مركزها هو العقل البشري، فإنها تكون موجودة معه بنسبة معينة منذ ولادته وتنمو مع مرور الزمن؛ فالبشر بشكل عام يمتلكون القدرة على النمو العقلي والفكري بمجرد ولادتهم، بدءا من المرحلة العمرية التي يسميها جان بياجيه "مرحلة الإدراك الحسي"، بما هي مرحلة تتم فيها معرفة الأشياء انطلاقا مما نحصل عليه من الاتصال المباشر بالعالم، أي الاتصال الحسي الحركي الذي يشكل قاعدة للنمو والفكري في المرحلة العمرية الأولى.

تشمل المهارات الإدراكية "مهارات اتخاذ القرار وحل المشكلات، ومهارات التفكير الناقد والتقييم الذاتي التي تنطوي على القدرة على تحليل تأثير وسائل الإعلام والأقران، والوعي بالقيم والمواقف والمعايير والمعتقدات والعوامل التي تؤثر فينا، وكذلك القدرة على تحديد مصادر المعلومات الملائمة". أما دليل اليونيسيف فيميز بين أربع مهارات إدراكية هي: التفكير الإبداعي، والتفكير النقدي، القرار، وحل المشكلات. والجامع بين هذه المهارات أنها غير قابلة للملاحظة المباشرة، بل يتم قياسها عن طريق التنبؤ والتخمين من خلال السلوك الملاحظ الذي يظهره الطفل أو الفرد بصفة عامة.

تقودنا العلاقة المنعقدة بين المهارات الإدراكية والجانب العقلي للفرد إلى أهمية المشروع البيداغوجي الفردي في تنمية قدرات الفرد على استخدام العقل في ضبط علاقته بذاته وبالآخرين، خاصة الطفل الحامل للإعاقة التي تشكل في الغالب عائقا أمام التعامل بعقلانية وإيجابية مع المشكلات والمواقف التي يواجهها، ذلك لأنّ التعلّمات الداعمة التي تشكل نشاطا أساسيا في المشروع البيداغوجي تسمح بتقديم الدعم للطفل المعاق وترويضه على المواقف والسلوكيات التي تعزز كفاءته الذهنية، وذلك بإشراك أطباء وخبراء متخصصين في الترويض الطبي لذوي الإعاقة. فهذا الدعم سيتعلم الطفل المعاق كيفية ممارسة التفكير الإبداعي في الحالة التي يكون فيها مضطرا لابتكار طرق جديدة للتعامل مع الموقف، خاصة عندما يعرف أنّ بعض المواقف تقتضي رؤية المشكلة من جميع الزوايا قصد توليد أفكار جديدة وفريدة وأصبغة تختلف عن الحلول المعهودة. وسيتعلم أيضا كيفية ممارسة التفكير النقدي في بعض المواقف التي تقتضي أعمال العقل في تدبر حقيقتها وإصدار الأحكام بشأنها، خاصة المواقف التي تكون في الغالب محفوفة بالمخاطر. وبما أن أعمال



التفكير الناقد يرتبط بحل المشكلات الخطيرة واتخاذ القرار الصائب حولها، فإنه بذلك يشكل مهارة حياتية لا تختلف عن باقي الجوانب الإنمائية التي يمكن تطويرها وتنميتها عن طريق التنشئة الاجتماعية؛ فهو "عملية عقلية يمكن أن تتطور بوساطة التدريب أو الممارسة والتعلم، (...)، فالمدرس الناجح هو الذي يستغل كل دقيقة لمداعبة أذهان طلابه ويدربهم على اكتشاف إمكاناتهم العلمية ومهاراتهم في التفكير بمختلف أشكاله وتطويرها".²³

خاتمة:

هكذا، حاول البحث الإجابة عن سؤال مركزي: ما الدور الذي يقوم به المشروع البيداغوجي الفردي في تنمية المهارات الحياتية للأطفال ذوي الإعاقة؟ وقد تبين لنا من خلال تفصيل البحث في هذا الإشكال أنّ المشروع البيداغوجي الفردي أضحى يشكل نواة مركزية في تنزيل الرؤية الفلسفية التي انطوى عليها المنهاج التعليمي المغربي في مجال التربية الدامجة، ذلك لأنّ التعلّات الأساس والتعلّات الداعمة التي يبنى عليها هذا المشروع تجسد أجراً ميدانية لمبدأ الدمج المدرسي الذي تركز عليه التربية الدامجة؛ فهو يستهدف تطوير قدرات كل متعلم وإتاحة الفرصة له لإبراز مهاراته وتلبية احتياجاته بالاشتغال وفق إيقاعه ووتيرة تعلمه، وذلك باعتماد طرق بيداغوجية تتواءم مع المقاربة التفرّدية التي يستند إليها المدرس في تخطيط الدرس وأجراً أنشطته التعليمية.

ومن جهة أخرى، اتضح لنا أنّ المشروع البيداغوجي الفردي يشكل أداة بيداغوجية فعالة لتربية الطفل المعاق على المهارات الحياتية التي تتيح له التعامل الإيجابي مع المواقف التي يواجهها؛ فالتعلّات الأساس والتعلّات الداعمة التي ينطوي عليها هذا المشروع تؤدي دوراً أساسياً في تعزيز الذكاء العاطفي وتطويره، ذلك لأنّ تفرّيد الطفل المعاق بمشروع خاص داخل فصل دراسي يفترض أنه فضاء للعمل الجماعي من شأنه أن يترك انطباعاً بقيمة الذات وتقديرها، وأن يخلق ميولاً نحو التفكير الإيجابي، وأن يعزز الثقة في النفس والقدرة على التحكم في العواطف في المواقف الصعبة. وأيضاً، فالاستقرار العاطفي الذي يتحقق بفضل الثقة في النفس والإحساس بتقدير الذات يمكن أن يكون قاعدة للتفاعل الاجتماعي الإيجابي، سواء من خلال التواصل اللفظي وغير اللفظي مع الآخرين، أو من



خلال القدرة على التفاوض ومواجهة المشكلات ومقاومة الضغوط، أو من خلال القدرة على فهم الآخرين والتعامل العاطفي معهم بحسب ما يقتضيه الموقف التواصلي، أو من خلال تقبل فكرة التعاون مع الآخرين في إطار فريق عمل، أو من خلال التشجيع بآليات الإقناع والتأثير في الحالات التي تقتضي الدفاع عن الرأي أو الاعتراض عليه. ولما كانت التعلّمات الداعمة تسمح بتقديم الدعم للطفل المعاق وترويضه على المواقف والسلوكيات التي تعزز كفاءته الذهنية، فإنها بذلك تؤكد أن للمشروع البيداغوجي الفردي دوراً أساسياً في تنمية المهارات الإدراكية للطفل المعاق، لأنه يتيح له تعرف كيفية ممارسة التفكير الإبداعي والتفكير الناقد واتخاذ القرارات الصائبة وحل المشكلات المستعصية.

وعليه، نستطيع القول إن إدماج المهارات الحياتية في المنهاج التعليمي المغربي واستحضارها في تنزيل مشروع التربية الدامجة أضحى ضرورة بيداغوجية لا محيد عنها، ذلك لأنّ الأطفال في وضعية إعاقة يجدون صعوبات في التكيف الإيجابي مع المجتمع والتعامل مع بعض المواقف والمشكلات التي يواجهونها سواء داخل الفضاء المدرسي أو خارجه، مما يحتم توجيه الجهود التربوية نحو تربيتهم على المهارات الحياتية التي تكفل لهم الاندماج الإيجابي في المجتمع وتدير شؤونهم في المستقبل بطريقة سليمة قوامها التواصل والثقة في النفس والتفكير الناقد والتفكير الإبداعي واتخاذ القرار الصائب ومقاومة الضغوط والقدرة على التفاوض والتعاون والتنظيم وإدارة الوقت وغير ذلك من المهارات العاطفية والاجتماعية والإدراكية. ومن مقتضيات ذلك أن تتحرر المنظومة التربوية من المقاربات البيداغوجية التقليدية التي تركز على تعلم المعارف، وأن تفتتح على مقاربات جديدة تصب في اتجاه تنمية المهارات الحياتية. ومما لا شك فيه أن المشروع البيداغوجي الفردي واحد من المقاربات التي تصلح لتنمية المهارات الحياتية لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة.

الهوامش:

- ¹ ينظر: المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية: الإطار المرجعي للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، منشورات مديرية المناهج، 2019، ص. 19.
- ² UNESCO, *Combattre l'exclusion*, in: TESSA, *Un guide pour la formation des enseignants en éducation inclusive au Togo*, 2015, p. 12.
- ³ Handicap International (2010): in: TESSA, *Un guide pour la formation des enseignants en éducation inclusive au Togo*, 2015, p. 12.
- ⁴ المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية: الإطار المرجعي للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، مرجع سابق، ص. 37.
- ⁵ المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية: التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، دليل المدرسين، منشورات مديرية المناهج، 2019، ص. 15.
- ⁶ عبد الشافي أحمد سيد رحاب، فعالية برنامج مقترح لتنمية المهارات الإملائية للزمتة لتلاميذ الحلقة الثانية من التعليم الأساسي لدى طلاب كلية التربية، المجلة التربوية، كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، مصر، العدد 12، الجزء الأول، يناير 1997، ص. 213.
- ⁷ أحمد حسين اللقاني، علي أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، ط. 2، 1999، ص. 218.



- ⁸ Waltermire, E.M, A kaleidoscope of opportunity: Testching life skills , Comping Magazine, vol 72, No 1, 1999, p.28.
- ⁹ Lieberman, G.A. and Linda, H.: Closing the achievement gap: using the environment as an integrating for learning Content for Learning council of chief state school officers, Washington, D.C 1998, p. 22.
- ¹⁰ المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية: التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، دليل المدرسين، مرجع سابق، ص. 17
- ¹¹ المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي: الرؤية الإستراتيجية للإصلاح 2015 – 2030، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، ص.16، وثيقة منشورة على الموقع الإلكتروني للمجلس
- :https://www.csefrs.ma/wp-content/uploads/2017/09/Vision_VF_Ar.pdf
- ¹² المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية: التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، دليل المدرسين، مرجع سابق، ص. 39.
- ¹³ المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، مفكرة للمديرين الجهويين والإقليميين للتربية والتكوين، تنزيل البرنامج الوطني للتربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، منشورات مديرية المناهج، 2019، ص.9.
- ¹⁴ المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية: التربية الدامجة لفائدة الأطفال في وضعية إعاقة، دليل المدرسين، مرجع سابق، ص. 52 – 53.
- ¹⁵ دانيال جولمان، الذكاء العاطفي، ترجمة ليلي الجبالي، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 262، أكتوبر 2000، ص.13.
- ¹⁶ محمد الراشد، فوزي الطواهي، سهيل كمون، التربية على المهارات الحياتية، أسس مرجعية ونماذج تطبيقية، الناشر: وزارة التربية ووزارة الصحة بتونس، 2019، ص.51.
- ¹⁷ محمد الراشد، فوزي الطواهي، سهيل كمون، مرجع سابق، ص.23.
- ¹⁸ M. P. Baligar, Concept of Social Skills and Factors Affecting Social Skills Acquisition & Performance, in: International Journal of Research in Engineering, IT and Social Sciences, Volume 06 Issue 12, December 2016, p.78.
- ¹⁹ سعاد مصطفى فرحات، أهمية تنمية المهارات الاجتماعية في تعديل السلوك العدواني للطفل من ذوي الإعاقة البصرية، المجلة الجامعية، العدد السادس عشر، المجلد الأول، فبراير 2014، ص. 108.
- ²⁰ غسان أبو حطب، ديناميات نشر وتعزيز المهارات الحياتية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، 2007، ص.104.
- ²¹ Béatrice Lamboy, Développer les compétences psychosociales chez les enfants et les jeunes, la Santé en Action, N°431, Mars 2015, p.134
- ²² سهير محمد سلامة شاش، تنمية المهارات الحياتية والاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة، منشورات مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط.1، 2015، ص.178.
- ²³ جلال عزيز الرقاوي، فاعلية تدريس الأدب والنصوص باعتماد مهارات التفكير الناقد والتفكير السابر في تحليل النصوص الأدبية لدى طلاب الرابع الأدبي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد 13، أيلول 2013، ص. 420.